

# ما حقيقة العثور على لوحات بيكاسو أثناء حفر بئر في مديسة

## لوحات بيكاسو الجزائرية.. بحث عن مجد مفقود أم كنز منهوب



أعمال بيكاسو يحتفي بها العالم وتفرط فيها الجزائر

”السلطو عليها من طرف العصابة الحاكمة في عهد الرئيس السابق بوتفليقة، وأن ما قامت به من تبديد ونهب للمال العام يجعلها قادرة على فعل أي شيء والعبث بالتراث المادي وغير المادي للبلاد، لذا يجب التحقيق الدقيق في الأمر وكشف المتورطين“.

زعم مكتشف اللوحات ناصر مسعودي أن ”اللوحات هي فعلا للرسم بيكاسو، لأن إحدى اللوحات التي بيعت سابقا في مزاد علني بأوروبا بقيمة 160 مليون دولار تم العثور عليها في منطقة مديسة، كما أن ارتباط تلك اللوحات بمسكن أقام فيه بيكاسو يدعم تأكيد صحتها“.

والشاب الذي تخرج من المدرسة العليا للفنون الجميلة، يؤكد أنه ”رأى مجموعة كبيرة من اللوحات، وتبين له لاحقا أن مصدرها كان بيتا لأحد المعمرين في مديسة، اسمه فرانسوا قومان، وهو مكان إقامة بيكاسو خلال الفترة الممتدة من سنة 1943 إلى 1944“.



واسيني الأعرج

اختفاء لوحات بيكاسو موضوع شديد الخطورة وتهريب لجزء مهم من تاريخ الجزائر لذا أدعو إلى فتح تحقيق

ويروي بشأن ما تعرض له بسبب اللوحات المذكورة، بأن ”رواية العثور على اللوحات صدفة في بيتي عند حفر بئر كانت مجرد سيناريو مختلق لإخراج أطراف من القضية كانت الرواية الحقيقية ستورطهم، وكانت الصفقة أن ينقذوني من السجن بتحويل الموضوع الأصلي وتسليم اللوحات السبع لأحد نفسي محبوسا واللوحات مخفية مع آثار عنف، أبرزها سقوط أسناني“.

وتابع ”الحقيقة تكمن في توصلهم للوحات من طرف أشخاص من القرية، هم من عثروا عليها بقبو البيت الذي كان يقيم به بيكاسو، وجلبوها له كونه خريج مدرسة الفنون الجميلة، فتعرف على اللوحات وإمضاء الرسام العالمي، ولما توسط لتسليمها لمديسة الثقافة تعرض لاعتداء وكسرت أسنانه، قبل أن يسجن بتهمة التزوير“.

مضيفا ”نتظف من الوزارة وأجهزة الدولة الكبرى بما فيها الأمنية، البحث والتحقيق في موضوع شديد الخطورة: تهريب جزء مهم من تاريخ البلاد كما حدث مع التمثال النصفي لماسينيسا، والتمثال النصفي لسيرفانتس الذي كان على رأس مرتكز في مغارة سيرفانتس، وهو النسخة الثانية والوحيدة والنادرة من تمثال مدريد، دون الحديث عن المجوهرات والنقود الثمينة التي تعود إلى العهد الروماني القديم.. مديسة تنتظر، ونحن أيضا، لنفتح وزارة الثقافة ملف لوحات بيكاسو“.

### علاقة كبيرة

في تبرير لفرضيته شدد الأعرج على علاقة بيكاسو مع الجزائر ووصفها بـ”الكبيرة“، فقد أقام بها في العديد من المرات، وزارها للاستراحة أو للعمل، أو حتى هاربا من الغيستاو ومن شرطة فيشي العميلة، بعد لوحة ”غيرنيكا“ (1937) التي تسببت له لاحقا في مطاردات كثيرة.

وذكر الأعرج أن ”بيكاسو من مدينة أندلسية بامتياز، (ملقة في جنوب إسبانيا)، وفيه شيء من عطر الأندلس الألفة، وقد زار الفنان الجزائر سنة 1944 في رحلة بدأت من العاصمة وانتهت به في إحدى المستعمرات الزراعية التي كان يملكها أحد أصدقائه، في بلدة مديسة، وهي منطقة أثرية قديمة، تأسست في 1910 وسميت بالسوادي الذي يعبرها مديسة، ونظرا إلى أراضيها الصالحة للزراعة ولتربية الماشية، فقد تشجع الكثير من معلمي المدن الفرنسية والإسبانية الفقيرة للاستثمار فيها“.

وأضاف ”بيكاسو الهارب من تهديدات النازية والحرب العالمية الثانية، وجد مكانا جميلا عند أصدقائه الإسبان الذين رحبوا به هناك، كما زار الفنان الجزائر سنة 1953، ورسم لوحته الشهيرة ’نساء الجزائر‘ ردا على لوحة دولاكروا التي ظلت حبيسة الرؤية الاستشراقية الاستعمارية التي جعلت من المجتمع النسوي الجزائري في القصة والصحراء نساء متاحات لا ينتظرن إلا قدوم المستعمر، استجابة لشرق مصنع كما يقول إدوارد سعيد“.

ولم يغفل الأعرج عن الإشارة إلى لوحة بيكاسو التضامنية مع المناضلة والمجاهدة الجزائرية جميلة بوباشا، التي حكم عليها بالإعدام، وساهم هو في تدويل قضيتها رفقة منقذين كثيرين منهم سيمون فاي وجيزيل حليني، لإسقاط حكم الإعدام، وقد نجحوا في ذلك.

وذهبت لجنة الدفاع عن التراث المادي وغير المادي إلى منطقة مديسة بمحافظة تيارت بالقول ”كل المؤشرات تؤكد أن اللوحات تم العبث بها ونهبها“، ولم يستبعد مصدر من اللجنة فرضية

المصدر الأول المكتشف للوحات المزعومة، ويوجه أصابع الاتهام إلى ناصر مسعودي، بفكرة السيناريو من أجل التسلق إلى عالم النجومية، ويدرج اسم الرسام الراحل من أبناء البلدة مجيد حاج أعراب على أنه هو الرسام الحقيقي للوحات المذكورة، وأن مسعودي هو من قام بالسلطو عليها وتزوير توقيع بيكاسو عليها.

وكان الأديب والروائي واسيني الأعرج قد كتب في منشور له على حسابه الخاص بعنوان ”من سرق لوحات بيكاسو في مديسة“ أن ”شبهة كبيرة تحيط بمصير سبع لوحات عُثر عليها في بلدية مديسة من محافظة تيارت، وأن كل اللوحات تحمل توقيع الفنان العالمي بابلو بيكاسو، ومؤرخة في 1944، وهي الفترة المواقفة لزيارته لهذه المنطقة التي عمرها معمر الضواحي الفقراء والإسبان، ووفد إليها بيكاسو للأمن والاستراحة، بدعوة من محبيه هناك، إذ على ما يبدو، كان من بين سكانها، الكثير من القادمين من ملقة الإسبانية، مسقط رأسه“.

كتب الأعرج ”عثر شاب على اللوحات السبع بالصدفة في خريف 2009 حينما كان يصد حفر بئر، وقام الشاب مباشرة بإبلاغ مديرية الثقافة بما عثر عليه، وكان يعرف جيدا قيمة ما وجده، وبعد أن تم تسجيل اللوحات واعتبارها ملكية وطنية للدولة، تم تحويلها باتجاه متحف الفنون الجميلة بالجزائر العاصمة، حيث يتوفر هذا الأخير على مخبر للتحليل الفنية لتحديد تاريخ اللوحات ومصدرها“.

وحسب الاحتمالات الأولية، يبلغ سعر اللوحة الواحدة ما لا يقل عن 100 مليون دولار، وأن بعض لوحات بيكاسو تخطت هذا السعر، على غرار لوحته الشهيرة ’نساء الجزائر‘ التي بلغت 140 مليون دولار. لكن منذ تاريخ سبتمبر 2009، تاريخ العثور على اللوحات، لف الصمت الكلي هذا الموضوع إلى اليوم. وتابع الكاتب الجزائري ”حسب بعض المصادر القريبة من متحف الفنون الجميلة، فقد تم سنة 2015 إرسال إحدى اللوحات إلى فرنسا ومؤسسة بيكاسو للتأكد من نسبها للرسم، لكن لا تعرف شيئا عن ذلك، ولا مال هذه اللوحات، هل سرقت؟ بيعت؟ نُهبت؟ من أدار الملف في وزارة الثقافة يومها؟ لم تعد القضية فردية ولكنها قضية دولة وإذا حدث أن سرقت ستكون ذلك واحدة من أكبر جرائم نهب التراث المادي واللامادي المنظم، وهو ما الخ عليه مواطنو مديسة من خلال لجنة الدفاع عن التراث المادي وغير المادي للمنطقة“.

ودعا الأعرج في منشوره الجهات المختصة إلى التحقيق في هذه القضية، لأنها ليست الوحيدة من نوعها، في ظل وجود سوابق مشابهة.

والدقة في الرسم، تبين أن هذه اللوحات هي نسخ غير أصلية ولم تصدر إطلاقا عن بيكاسو.

لكن أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية زهير بوعمامة كان له رأي آخر لما ذكر أن ”البيان لا يكفي ما دام جاء متأخرا عن تاريخ وقائع الحادثة من جهة، وباعتباره يفتقر للإثباتات والدلائل التي تؤكد حقيقة اختفاء لوحات بيكاسو من جهة أخرى“.

وأضاف ”الجزائريون أصبحوا يصدقون كل ما يقال عن ملفات الفساد التي كانت تدار في عهد النظام السابق، والتي أثبتت التحقيقات أنهم لم يتركوا قطاعا إلا وأفسدوه بما فيه قطاع الثقافة، وعلى وزارة الثقافة إن كانت لديها نية خالصة لكشف الحقيقة كاملة للجزائريين حول اختفاء لوحات بيكاسو، أن تستدعي الخبراء والمختصين، سواء أكانوا محليين أو دوليين للبت في الحقيقة“.

وشدد المتحدث على أن ”مكتشف اللوحات، جزئية مهمة في كل ما حدث للتأكد من طبيعة اللوحات التي تسلمتها مديرية الثقافة لمحافظة تيارت، لأن مسؤولي البلاد يستطيعون فعل أي شيء، باعتبار أن قيمة اللوحة الواحدة تتعدى الـ100 مليون دولار“.

وأكد على ”ضرورة الكشف عن الحقائق كاملة حول اللوحات، إذا كانت لبيكاسو فهذا كنز للثقافة والتاريخ بالجزائر، وإن كان غير ذلك فسيتم على الأقل إنهاء الجدل بشكل موثوق“.

ويبيد بن ديدة اهتماما مركزا على العنصر صفر في القضية، في إشارة إلى

بين مزاعم الأديب والروائي واسيني الأعرج ونفي وزارة الثقافة والفنون الجزائرية، تدخل لوحات بيكاسو في الجزائر سياق جدل متجدد حول حقيقتها من فبركتها، خاصة بعد الرواية التي أدلى بها الأديب والباحث محمد بن ديدة، التي قوضت وجودها أصلا ودحضت فرضية الاختفاء التي أطلقتها نخب جزائرية وناشطون على شبكات التواصل الاجتماعي.

في وسط لا تفارقه أدوات الرسم واللوحات، وكنت أعرف من يومها الرسم الذي تبين قصة بيكاسو اليوم بمديسة، وكل هذا الكبت الطفولي سينفجر في كتابي الموشك على الصدور بعنوان ’أنا، وأشباح بيكاسو.. بلدة مديسة، نكريات مبهمة‘، في حقائق عميقة عن هذه القصة“.

وتابع الباحث ”ما إن قرأ طرحا عن هذا الموضوع، حتى تتساءل من أين أتت المعلومة الأولى التي استندت عليها جميع هؤلاء، حتى يخرج بها إعلامي وأديب بارزان على الساحة الثقافية، على أنهما مفسرا هذه القنبلة الخفية قبل أي عارف بها؟ من نصب فلانا أو آخر لتبني هذا الموضوع؟ أي شرعية وهبها هذا لذاك كي يحاكم الآخر في قضية ليس من السهل الخوض فيها؛ لأن كل مزيف فيها يقترب من الحقيقة، وكل حقيقة تنكسر حطاما أمام لعنات التشعب المكذب، كأننا أمام قارئة فنان تبصر لبيكاسو – مديسة، وتلعن ضباب الماضي المجهول“.

ويبدو أن حقيقة لوحات بيكاسو في الجزائر المثيرة للجدل تتجه إلى سجل شخصي بين داعمي وجودها وبين من ينفونسه، وفي ظل غياب قنوت ومنابر نقاش فكري وأكاديمي، تظل الحقيقة مغيبة عن المتابعين والشغوفين بمعرفة تفاصيل هذه القضية.

ويظهر أن الفرضية التي يرافع عليها بن ديدة، قد وجدت في النفي القنص لوزارة الثقافة والفنون سندا قويا لها، أمام إصرار قطاع من النخب الجزائرية والافتراضية على تعرض لوحات بيكاسو المنجزة في الجزائر إلى السلطو، خاصة وأن بعضها عثر عليها معروضة للبيع بالملايين من الدولارات.

ولوضع حد للجدل المتصاعد حول القضية، نكرت وزارة الثقافة والفنون، في بيان لها، أنه تم ”تداول بعض وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي في الأونة الأخيرة خبرا مغلوطا حول اختفاء سبع لوحات زيتية للرسم الإسباني الشهير بابلو بيكاسو خلال سنة 2009، كان قد تم العثور عليها من قبل أحد المواطنين أثناء قيامه بحفر بئر في بلدة مديسة على بعد 60 كلم جنوب محافظة تيارت“.

### لوحات غير أصلية

أشارت وزارة الثقافة والفنون في بيانها إلى أنها فور تلقيها معلومة العثور على لوحات لبيكاسو خلال سنة 2009، نقلت هذه اللوحات إلى متحف الفنون الجميلة بالعاصمة للتأكد من هوية صاحبها، وعلى ضوء الخبرة المنجزة من قبل المختصين باستعمال التقنيات الحديثة التي مست فحص الإمضاءات وخطوط الكتابة ونوعية الألوان الزيتية والتقنيات المستعملة

صابر بليدي  
صحافي جزائري



الجزائر – أكد الأديب والباحث محمد بن ديدة أن ما أشاعه الروائي والأديب واسيني الأعرج حول ضياع عدد من اللوحات الفنية للرسم العالمي بيكاسو، كان قد أنجزها في الجزائر سنوات الاستعمار الفرنسي وأسماها ’نساء الجزائر‘، عار عن الصحة، وأن ما استند إليه الرجل هو روايات يكتنفها ليس كبير.

وتحدثت مصادر في الجزائر عن أن الرسام المذكور أنجز 15 لوحة خلال إقامته في الجزائر خلال منتصف القرن الماضي، وقد تم العثور على سبع منها في ضاحية مديسة بمحافظة تيارت في غرب البلاد، تحمل توقيع الرجل وتعود للعام 1944.

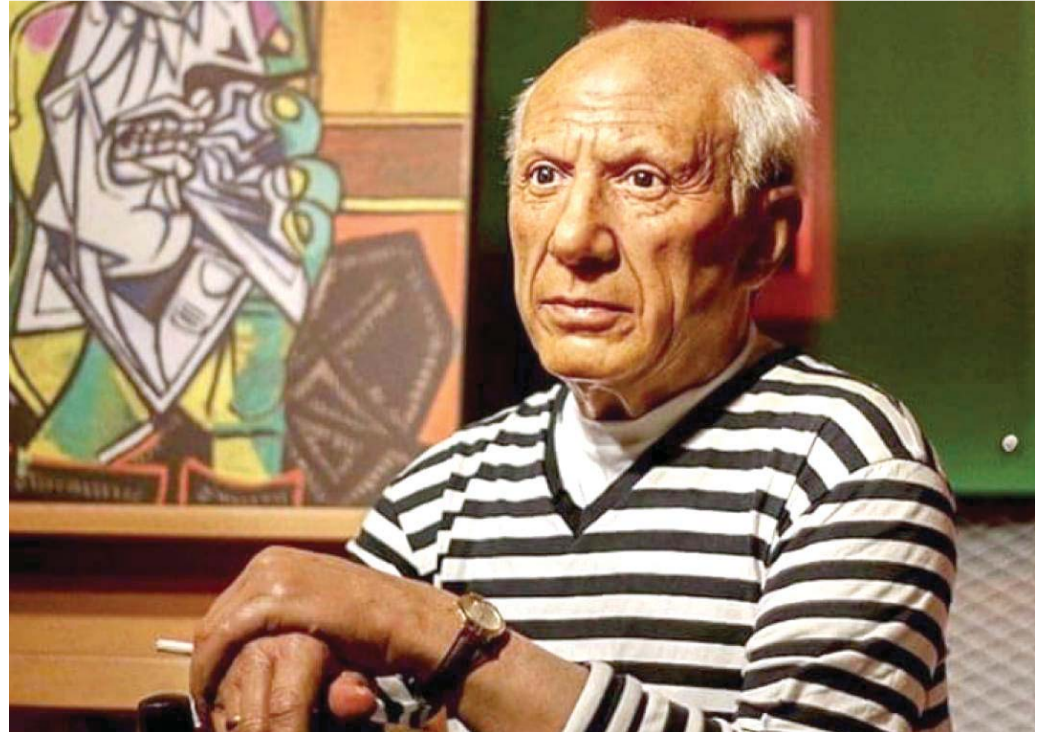
حقيقة لوحات بيكاسو في الجزائر المثيرة للجدل تتجه إلى سجل شخصي بين داعمي وجودها وبين من ينفونسه

ويكشف بن ديدة على وضع آخر اللمسات على كتاب له بعنوان ’أنا، وأشباح بيكاسو.. بلدة مديسة، نكريات مبهمة‘، يعالج فيه قضية لوحات بيكاسو المزعومة، ويكشف عما أسماه بـ’أسرار‘ يكتشف عنها لأول مرة حول دور بعض الأفراد في إثارة بالون لا أساس له من الصحة.

### أنا وأشباح بيكاسو

ذكر بن ديدة في تصريحات إعلامية أن ’تصريحات واسيني الأعرج أشعلت وسائل التواصل الاجتماعي، وخلقت قضية من العدم بعنوان ’بيكاسو – مديسة‘، عبر جلد فيسبوكي يكاد يتحول اليوم إلى محاكمات وتحقيقات شبه أمنية، يقوم بها مثقفون اقتراضيون على طريقة تشبه الكلام عن أي منشور إشراري لضحكات معتادة، قد يقولون أي شيء، وعن أي شيء، دون الرجوع إلى خيط المسألة الأول، والأكثر تعقيدا مما يتخيلون، ذلك الخيط الذي يجعل مرة تؤمن بوجود هذا ’البيكاسو‘، في بلدة مديسة من محافظة تيارت، ومرة ثانية تفكر بأنه قد تنفس ذات يوم من هواء هذه القرية الريفية الكولونيالية وبقاياها الخاربة في أيامنا هذه“.

وأضاف ’أنا طفل بعمر الثامنة، شغلني لوحات النادي الريفي الفرنسي بمديسة، ولأنني ترعرت على عشقها



بيكاسو يثير جدلا جزائريا